بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، محمد وآله الطيبين الطاهرين

واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين

هل للقرآن الكريم بُعْد مادي؟

هنا سؤالٌ مُثار وهو: أنّ هناك تشابهاً بل اتحاداً بين مطلع سورة البقرة ومطلع سورة لقمان.

فمطلع سورة البقرة هو قوله تبارك وتعالى: **{الم * ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}**[1].

ومطلع سورة لقمان هو قوله تبارك وتعالى: **{الم * تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ * هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}**[2].

فالمطلعُ في السورتين مع قوله سبحانه وتعالى: {أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} قد تكرر.

وهذا ما يحركُ سؤالاً وهو: هل يدلُ هذا التكرار على خضوع القرآن الكريم للتصرف البشري بحيثُ أوجبَ تكرار الآية في سورتين؟ **بمعنى**: أنّ بعض المسلمين حين نسخ القرآن وجمعه قام بتكرار للآية في سورتين خطأً أو عمداً، أم أنّ الوحي السماوي نفسه قابلٌ للتكرار؟ وإذا كان قابلاً للتكرار فهل التكرار في نفس القرآن المحكم في اللوح المحفوظ أم في نزوله بشكلٍ تفصيلي مؤلف مِن سورٍ وآياتٍ؟ وعلى الفرض الثاني فما هو المبرر للتكرار خصوصاً مع كون المكرر آية كاملة؟

---

[1] سورة البقرة، 1 – 5.

[2] سورة لقمان، 1 – 5.

وحيثُ إنّ ظاهرة التكرار في الآيات القرآنية أو المضامين القرآنية مرتبطٌ بناءً على الفرض الأخير بالبُعْد النظمي للقرآن الكريم وهو ترتيبُ القرآن على السور والآيات، فلذلك ينبغي دراسة هذا البُعْد القرآني مِن زاويةٍ أُخرى يكون لها لتنقيحها تمهيد للوصول للنتيجة في المقام.

وهو: هل أنّ البُعْد النظمي للقرآن الكريم بتقطيعه لسورٍ وآياتٍ يعني أنّ القُرآن اكتسب صفةً مادية عند نزوله لعالم المادة وهي صفةُ الوجود التدريجي، فإنّ مِن مقومات عالم المادة الحركة، والحركة تعني الانتقال مِن القوة إلى الفعل، والانتقال مِن القوة إلى الفعل يقتضي وجوداً تدريجيّاً؛ إذ لا يمكن أنْ ينتقل الشيء ويتحرك مِن عالم القوة إلى عالم الفعل دفعة، بل انتقالا تدريجيّاً، كوجود الشجرة ووجود الجنين وأي موجودٍ ماديٍّ آخر.

فهل البُعْد النظمي للقرآن الكريم يعني أنّ القرآن كسائر الموجودات المادية التي خضعت للحركة وهي الانتقال مِن عالم القوة إلى عالم الفعل؟ وهل لهذا البُعْد ارتباطٌ بتكرار بعض الآيات أو بعض المضامين في القرآن الكريم أم لا؟

وتحقيق هذا الموضوع في عدّة نقاط:

النقطةُ الأُولى: في المُدْخل لدراسة البُعْد النظمي للقرآن الكريم.

مِن الواضح أنّ للقرآن الكريم عناصر ثلاثة:

العنصرُ الأوّل: الوحي.

العنصرُ الثاني: مكان الوحي.

العنصرُ الثالث: وسيلة الوحي.

العنصرُ الأوّل: هو الوحي، ويعني المعرفةُ الشهودية للمُصْطَفَيْن الذين يُشكلون همزةَ الوصل بين عالمين: عالم الإطلاق الخارج عن الحدود المادية وعالم التغير الذي هو عالمُ الحركة.

العنصرُ الثاني: مكان الوحي، وهو محلّ نزول الوحي، فقد نزل الوحي في المجتمع البشري بكلّ حقائقه الثابتة وحاجاته المتغيرة وأبعاده المتجددة، فالوحي لَمْ ينزل على الملائكة وإنّما نزل على هذا المجتمع بما لَهُ مِن مُتغيرات ومُستجدات واختلافات.

العنصرُ الثالث: وسيلة الوحي، إنّ المرآة التي يتجلى بها الوحي إلى المجتمع البشري هي الكلام واللغة.

ومِن هنا فإنّ دراسة القرآن الكريم تنوعتْ إلى ثلاثة اتجاهات تبعاً لهذه العناصر الثلاثة، فهناك اتجاهٌ يدرسُ القرآن الكريم مِن زاوية العنصر الأوّل وهو عنصر الوحي، وهناك اتجاهٌ يدرسُ القرآن الكريم مِن زاوية العنصر الثاني وهو عنصر محلّ نزول الوحي ألّا وهو المجتمع البشري بأبعاده المتغيرة، وهناك اتجاهٌ يدرسُ القرآن الكريم مِن خلال وسيلة الوحي وهي الكلام واللغة والأُسلوب الذي صيغ بِهِ القرآن الكريم.

الاتجاهُ الأوّل: هو الاتجاهُ الذي قرأ القرآن الكريم مِن زاوية الوحي.

فهو يرى أنّ القرآن الكريم حقيقةٌ سماويةٌ تتعالى على الظروف الاجتماعية وتتسامى على كلّ المُتغيرات والأبعاد المادية، إذ ما دام أنّ القرآن الكريم كلام الوجود الحق الثابت فهو حقيقةٌ ثابتةٌ لا تقبلُ التغير والاختلاف.

ولكن يُلاحظ عليه:

أنّ مضامين القرآن الكريم كانتْ مواكبة للظروف والأوضاع المعاصرة كهجرة النبيّ الأعظم (صلى الله عليه وآله) وما خاضهُ مِن حروبٍ في بدرٍ وأُحد والأحزاب وظاهرة المنافقين، بل تعرضتْ حتى للتفاصيل الجزئية، منها:

1 – قوله تبارك وتعالى: **{وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا}**[3].

2 – وقوله سبحانه وتعالى: **{وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ}**[4].

3 – وقوله عزّ وجلّ: **{لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ * إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ}**[5].

---

[3] سورة الأحزاب، 37.

[4] سورة التوبة، 101.

[5] سورة قريش، 1 – 2.

فلا يمكنُ فصلُ مضامين القرآن الكريم عن المجتمع الذي نَزَلَ فيه وما كان يعيشُهُ هذا المجتمع مِن تغيراتٍ واختلافاتٍ، لذلك لا يمكنُ حصر دراسة القرآن الكريم في أنّه وحي يتعالى على كلّ المُتغيرات مع أنّه نَزَلَ مواكباً للعالم المُتَغير.

الاتجاه الثاني: الثنائية بين المضمون والتطبيق، فالمضمونُ سماوي والتطبيق بشري.

وهذا ما ذهبَ إليه جملةٌ من الباحثين ومنهم الدُّكتور عبدالكريم سروش في نظريته: نظرية القبض والبسط في الشريعة[6].

وهذه النظرية ترتكز على الثنائية بين المضمون وبين القالب التطبيقي.

بدعوى: أنّ المضمون للقرآن الكريم هو مضمونٌ سماوي، وأمّا تطبيقُ هذه المضامين على الحياة فقد تمّ بصياغاتٍ وأساليب بشرية، **بمعنى**: أنّ النبيّ الأعظم (صلى الله عليه وآله) قد تلقى المضامين كعناوين عريضة عامة وقام بتطبيقها بما هو بشرٌ على الأوضاع المعاصرة له.

ولذلك كان من المتعين التفصيل بين الذاتي مِن الدين والعرضي مِنه:

فالذاتي مِن الدين: هو المفاهيمُ التي تعرضتْ للخالق والمعاد والأخلاق والعبادات.

والعرضي مِن الدين: هو ما خضع للظروف التي عاصرها النبيّ الأعظم (صلى الله عليه وآله)، ومنها: ما يرتبط بالسياسة والحقوق وأحكام الحدود والقصاص، فكلُّ ما هو مِن شؤون الحكومة والقضاء فهو أمرٌ عرضي قابلٌ للتغير وليس أمراً ثابتاً، وقد صاغهُ النبيّ الأعظم (صلى الله عليه وآله) بما هو حاكم ورئيس دولة لا بما هو رسولٌ ونبيٌّ مِن قِبل الله تبارك وتعالى.

ولكن من الواضح أنّ هذه النظرية تقومُ على حصر الدين الحقيقي في مجال الأخلاق والعبادات والمفاهيم الاعتقادية مِن دون أنْ يكون له شمولٌ لتفاصيل الحياة، وإلّا فالتبعيضُ في آياتِ القرآن الكريم بلا مبررٍ.

---

[6] المقرر: لسماحة السيد الأُستاذ (دامت بركاته) مؤلفاتٌ صدرتْ لمناقشة نظرية الدُّكتور عبدالكريم سروش تحت عنوان: "مطارحات فكرية حول الدين والنبوة"، وهي:

1–نقد نظرية القبض والبسط.

2–نقد خمس مقالات للدُّكتور سروش.

3–فلسفة الثابت والمتغير.

4–حقيقة الوحي وماهية النبوة.

بأنْ يُقال: إنْ قال تبارك وتعالى: **{فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا}**[7]، أو قال سبحانه: **{أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا}**[8] قُلنا: أنّ هذا مِن ذاتيات الدين.

وأمّا إذا قال تبارك وتعالى: **{ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا}**[9] قُلنا: إنّ هذه مِن العرضيات لا مِن الذاتيات.

وإذا تحدثَ عن المعاد كما في قوله تعالى: **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ}**[10]، وقوله عزّ وجل: **{وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}**[11] قُلنا: إنّ هذا مِن الذاتيات.

وإذا تحدثَ عن القصاص والحدود كما في قوله عزّ وجلّ: **{الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ}**[12] وكقوله تبارك وتعالى: **{وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ}**[13] قُلنا: إنّ هذا مِن العرضيات.

فإنّ هذا التبعيض مع أنّ الأسلوب واحد، والمصدر واحد، بلا مبرر ولا منشأ له إلّا: أنّ الباحث حيثُ يعتقد برؤيةٍ مسبقة وهي أنّ الدين لا يشملُ تفاصيل الحياة لذلك قام بتقسيم الآيات القرآنية إلى ما يُمثل ذاتي الدين وما يمثل العرضي مِن الدين.

---

[7] سورة الروم، 30.

[8] سورة الإسراء، 78.

[9] سورة البقرة، 275.

[10] سورة الحج، 5.

[11] سورة الروم، 27.

[12] سورة النور، 2.

[13] سورة المائدة، 38.

الاتجاهُ الثالث: أنّ القرآن الكريم وإنْ كان سماوياً مضموناً وتطبيقاً ولغةً إلّا أنّ لغته انعكستْ فيها ثقافة التاريخ اللغوي العربي.

وهذا واضحٌ مِن خلال تشبيهات القرآن وكناياته ومجازاته، والشواهد على ذلك عديدة في الآيات القرآنية المباركة، فمنها:

1–قوله سبحانه وتعالى: **{مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا}**[14].

2–وقوله تبارك وتعالى: **{وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ}**[15].

3–وقوله عزّ وجلّ: **{أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ}**[16].

4–وقوله تعالى ذكره: **{الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ}**[17].

5–وقوله جلّ ثناؤه: **{وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ}**[18].

6–وقوله تبارك وتعالى: **{اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}**[19].

فكلُّ هذه الأمثلة مِن صلب التاريخ اللغوي العربي، مما يعني أنّ التاريخ اللغوي العربي قد انعكس على لغة القرآن الكريم في كناياته ومجازاته وأمثلته.

---

[14] سورة الجمعة، 5.

[15] سورة النور، 39.

[16] سورة الغاشية، 17.

[17] سورة البقرة، 275.

[18] سورة الأعراف، 176.

[19] سورة النور، 35.

النقطةُ الثانية: بما أنّ نزول القرآن الكريم حدثٌ تاريخي؛ حيثُ إنّه نَزَلَ في زمنٍ معينٍ على إنسانٍ وُلدَ في تاريخٍ معينٍ وجغرافيةٍ معينةٍ، فهل أنّ ذلك يقتضي أنْ يتأثر القرآن بما تتأثر بِهِ الحوادث التاريخية مِن اتسامها بالصفات المادية؟

وبعبارةٍ أُخرى: هل كلّ ما يولد في خضم التاريخ يخضع للجبرية التاريخية كالتغير والوجود التدريجي، فهل هذه قاعدةٌ عامّة؟

والتحقيق: أنّه لا توجد قاعدةٌ عقليةٌ كُلّيّة هي: أنّ كلّ ما حدث في إطار التاريخ فهو خاضعٌ لقوانينِ المادة بنحوٍ لا يمكنه التحرر منها.

والشاهدُ على ذلك أمثلةٌ عديدة منها:

1-**روح الإنسان**: فهي ظاهرةٌ تاريخية؛ لنشأتها في زمانٍ ومكانٍ معينٍ، ولكن مع ذلك فإنّ لها امتداداً يتجاوز الزمن وحدود المكان و الجغرافيا والحضارات التي تمر بها.

2-**الفرق بين الطبيعة والعلم**: فالطبيعة التي نعيشها هي وجودٌ متقومٌ بالحركة، فهي دائماً في حالة تغير وحدوث دائمين، ولكن العلم – بما هو علم – الموجود في ذهن الإنسان حقيقةٌ متعاليةٌ على الحدود الزمانية، فقد تثبت في ذهن الإنسان معلومات منذ كون عمره خمس سنوات إلى أنْ يبلغ عمره مائة سنة وهي ثابتة لا تخضع للتغير الزمني، وإنْ كانت المعلومة نفسها معلومة مادية، فمثلاً: الكون يقوم على القوى الأربع، معلومةٌ مادية تتعلّق بالكون، لكن العِلمَ بها أمرٌ ثابتٌ لا يخضع لإطار عالم المادة مِن الوجود التدريجي المُوجب للتغير والحدوث.

وهذا ممّا يقودنا إلى التفصيل بين نوعين مِن القضايا:

النوع الأوّل: القضايا التجريبية. والنوع الثاني: القضايا الواقعية.

أمّا القضايا التجريبية: فهي عالمٌ متغيرٌ خاضعٌ لجبرية الزمن وتدرج الوجود.

ولا إشكال في أنّ هذه القضايا التجريبية مؤثرةٌ على مفاهيم الإنسان وأخلاقه وعاداته وتقاليده، وهذا ممّا لا ينكر.

وأمّا القضايا الواقعية: فهي القضايا المرتبطة بهوية الإنسان، أي: الإنسان بما هو إنسان.

وهي مما لا تتغير ولا تخضع للواقع المادي.

وهي نوعان:

النوع الأوّل: المعارفُ العملية.

نحو: عالم الحُسن والقُبح، كحُسن العدل وقبح الظلم وحُسن الصدق وقُبح الكذب، وحُسن الأمانة وقُبح الخيانة، فإنّ عالم الحُسن والقبح مِن القضايا الواقعية؛ لكونها مِن المضامين المتقررة في نفس الأمر والواقع.

النوع الثاني: المعارفُ النظرية.

مثل: "النقيضان لا يجتمعان" و "كُلّ حادث يحتاج إلى السبب"، فهذه مِن الأمور المتأصلة التي لا تقبل التغير.

فكما أنّ الإنسان له بُعْدان: **الأوّل**: بُعْدٌ واقعي وهو هذه المعارف المرتبطة بهويته بما هو إنسان، **والثاني**: بُعْدٌ اجتماعي.

كذلك الوحي الذي نَزَلَ على الإنسان؛ فإنّ منه ما يواكب القضايا الثابتة، ومنه ما يواكب القضايا التجريبية والمتغيرة، فالوحي نفسُهُ وجودٌ ثابتٌ وحقائقٌ ثابتةٌ، لكن ما يحكي عنهُ الوحي مما يواكب مسيرةَ الإنسان هو على قسمين: قسمٍ مِن القضايا الاجتماعية، وقسمٍ مِن القضايا الثابتة التي لا تقبل التغير والتبدل.

النقطةُ الثالثة:

قد يُقال: إنّ نزول القرآن الكريم باللغة البشرية فَرَضَ على القرآن الكريم سمة الوجود التدريجي الذي يعني التغير بالحركة مِن عالمِ القوة إلى عالمِ الفعل، أي: أنّ القرآن خَرَجَ مِن عالمِ الإطلاق إلى عالمِ الضيق والحدود نتيجةَ نزوله باللغة البشرية.

وهذا ما تؤكده الآيات القرآنية، منها:

1 – قوله تبارك وتعالى: **{إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ}**[20]، فالقرآنُ بلحاظ اللغة قد أصبح لهُ وجود تدريجي، لكنه بلحاظ مضمونه هو "عليٌّ" بمعنى: يتعالى عن الحدود البشرية، لذلك قال تعالى: **{وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ}**.

[20] سورة الزخرف، 3 – 4.

2–وقوله تبارك وتعالى: **{نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ}**[21]، فإنّ التعبير عن القُرآن بقوله تعالى: **{نَزَلَ}** مع أنّ النزول مِن صفات المادة بلحاظ كون القابل له في المرتبة الأدنى مِن الفاعل له، أو باعتبار أنّه نزل باللغة واللغة وجودٌ مادي.

3–وقوله تبارك وتعالى: **{لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ}**[22]، وهذه مِن الآياتُ الواضحة الدلالة على المراد، فقوله تعالى: **{لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ}** يعني أنّه وجودٌ تدريجي يخضع للحركة.

واتصافُ القرآن الكريم بذلك مِن حيثُ اللغة، لا مِن حيثُ المضمون.

وحيثُ اتضحت الأبعاد تأتي الأسئلة المطروحة في البدأ عن ظاهرة التكرار في بعض آيات القرآن الكريم:

السؤالُ الأوّل: هل التكرار ناشئ عن التصرف البشري أم هو شأن سماوي؟

وإذا كان شأناً إلهياً فهل هو مرتبطٌ بالقرآن المحكم أم بالقرآن عند نزوله؟

والجواب ببيانين: إجمالي وتفصيلي.

البيان الإجمالي: أنّ التكرار لا علاقة له بحقبة جمع القرآن الكريم ونسخه لخضوعه في تلك المرحلة لرصد الإمام المعصوم (عليه السلام) والصحابة الذين عاشوا أجواء القرآن في عهد الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) حفظاً وتفسيراً وترتيلاً ونسخاً، فمن غير المحتمل أنْ يتم التصرف بهذا النحو وفي عدة موارد مِن دون التفاتٍ منهم، أو مع التفاتهم وقبولهم له، بل التكرار شأن إلهي له ارتباط بالبُعْد الصياغي للقرآن الكريم؛ فقد سبق: أنّ القرآن الكريم له بُعدان:

الأوّل: البُعْد المضموني، **والثاني**: البُعْد اللغوي.

أمّا البُعْد الأوّل – وهو البُعْد المضموني – فهو حقائقٌ ثابتةٌ، وإنْ حكى أحياناً عن أمورٍ متغيرةٍ كحكايته عن أحوال المنافقين أو المعارك التي خاضها النبيّ الأعظم (صلى الله عليه وآله) أو صفات

[21] سورة الشعراء، 193.

[22] سورة القيامة، 16 – 19.

أصحاب النبيّ (صلى الله عليه وآله)، فهو مِن جانب المحكي عنه مِن القضايا المتغيرة ومِن جانب الحاكي هو أمرٌ ثابتٌ.

أمّا البُعْد الثاني – وهو البُعد اللغوي – فيمكنُ بيانُ تأثيره مِن خلال قول الله تبارك وتعالى – على بعض الآراء –: **{الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ}**[23].

وتوضيح ذلك: أنّ القرآن الكريم الذي هو وحي الله تبارك وتعالى كما قال الله سبحانه وتعالى: **{وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ}**[24] قد مر بمرحلتين:

المرحلةُ الأُولى: مرحلةُ الإحكام، وهو كونه مجموعة مضامين.

المرحلةُ الثانية: مرحلةُ التفصيل، وهي الصفة الناشئة عن الصياغة اللغوية، ومنشأ هذه المرحلة نزول القرآن الكريم على المجتمع البشري، كما أشير إليه في قوله عزّ وجلّ: **{نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ}**[25].

فإذا لوحظت المرحلة الأُولى وهي مرحلة الإحكام: **{كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ}** فلا تكرار، فمثلاً: ما دلّ على المعاد وما دلّ على حُسن الخُلق، وما دلّ على التوصيف والمدح في قوله تبارك وتعالى في سورتي البقرة ولقمان: **{أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}**[26] هو مضمونٌ واحدٌ، فلا تكرار بحسب المضمون، وإذا لوحظت المرحلة الثانية: وهي مرحلة التفصيل فهناك ظاهرة التكرار، أي: أنّ التكرار في مرحلةِ البُعْد اللغوي.

والسؤالُ الأخير: ما هي المبررات للتكرار في عالمِ التفصيل – أي: في عالمِ النظم والترتيب للقرآن الكريم – وإنْ لَمْ يكن نفس المضمون مكرراً بحسب عالمِ الإحكام؟

وقد ذكرتْ عدّة وجوهٍ لتفسير ظاهرة التكرار في آيات القرآن الكريم، أبرزها وجوهٌ ثلاثة:

الوجهُ الأوّل: ترسيخُ بعض المفاهيم الأساسية.

---

[23] سورة هود، 1.

[24] سورة النجم، 3 – 4.

[25] سورة الشعراء، 193 – 195.

[26] سورة البقرة، 5 / سورة لقمان، 5.

حيثُ إنّ القرآن الكريم يخاطبُ المجتمع البشري وهذا المجتمعُ متفاوتٌ في فهمه وقابليته للتفاعل والتأثر، فبما أنّ المجتمع البشري ليس مجتمعاً متساوياً في الفهم وقابلية التفاعل لذلك احتيج في بعض المضامين إلى تكرارها مِن أجل ترسيخها وتأكيدها في ذهنية المجتمع البشري، كالمفاهيم التي تتحدث عن التوحيد والعدل وأهمية الصبر وضرورة العبادة وما أشبه ذلك.

ومِن الشواهد على ذلك:

الشاهدُ الأوّل: أنّه عندما يتعرضُ القرآن الكريم إلى آيات التدبر، كما في قوله تعالى: **{إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ}**[27]، وقوله سبحانه: **{إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ}**[28].

فإنّ هذا المضمونُ يتكرر كثيراً في القرآن الحكيم؛ لأنّ مِن أهدافه ترسيخ ضرورة التأمل والتدبر في آياتِ الوجود.

الشاهد الثاني: أنّه عندما يتعرضُ القرآن الكريم إلى آيات التوبة والحث على هذه القيمة العظيمة، كما في قوله عزّ وجلّ: **{وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}**[29]، وقوله تعالى ذكره: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ}**[30]، وقوله تبارك وتعالى: **{وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ}**[31].

نجدُ أنّ الحديث عن التوبة في الآيات المباركة بمضامين متكررة؛ باعتبار حاجة المجتمع البشري إلى قيمة التوبة، فلذلك كان مِن المناسب ترسيخها في عدّة آيات.

---

[27] سورة آل عمران، 190.

[28] سورة البقرة، 164.

[29] سورة النور، 31.

[30] سورة التحريم، 8.

[31] سورة هود، 3.

الشاهدُ الثالث: أنّه عندما يتعرضُ لقيمة الصِدْق، كما في قوله تبارك وتعالى حكايةً على لسان نبيه إبراهيم (عليه السلام): **{رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ * وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ}**[32]، وقوله سبحانه وتعالى: **{وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ}**[33]، وقوله عزّ وجلّ: **{وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا}**[34]، وقوله تعالى ذكره: **{وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا}**[35].

وغيرها مِن الموارد التي تتحدث عن الصِدْق وصِدْقِ الوَعْد في الأنبياء والأصفياء؛ لأنّها قيمة تحتاج إلى الترسيخ في وعي الإنسان المسلم.

الوجهُ الثاني: التأثير النفسي.

بمعنى: أنّ هناك بعض الآيات تتكرر مِن أجل التأثير على عاطفة الإنسان ومشاعره.

ومِن الشواهد على ذلك:

الشاهدُ الأوّل: أنّ القرآن الكريم قد كرر قوله تبارك وتعالى: **{فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ}** في سورة الرحمن إِحْدَى وثلاثين مَرّة، بحيث كُلَّما ذكرَ نعمةً مِن النعم أو آيةً مِن آياته الإلهية أعقبها بهذه الآية الشريفة، كما في قوله سبحانه وتعالى: **{وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ * فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ * وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ}**[36]؛ لأنّ المقصود مِن هذا السياق ربطُ ذِكر النعمة بإيقاظ فطرة الإنسان إلى الشكر والرجوع إلى الله تبارك وتعالى، فمِن أجل التأثير على غريزة الإنسان وإثارة فطرته بما يربطه مع ربه ارتباط الشكر والحمد والإنابة تكررتْ هذه الآية في سياق سورة الرحمن.

الشاهدُ الثاني: تكرار الآيات التي تتضمن التحذير مِن النار وعواقب الكفر والنفاق ونحو ذلك، كقوله تعالى: **{فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ}**[37]،

---

[32] سورة الشعراء، 83 – 84.

[33] سورة الزمر، 33.

[34] سورة مريم، 50.

[35] سورة مريم، 54.

[36] سورة الرحمن، 10 – 13.

[37] سورة البقرة، 24.

وقوله سبحانه: **{وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ}**[38]، وقوله جلّ ثناؤه: **{أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ}**[39]، وقوله عزّ وجلّ: **{ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا}**[40]، وقوله سبحانه: **{وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ}**[41]، وقوله تعالى ذكره: **{إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا}**[42].

فإنّ المقصود مِن تكرار آيات النار وعواقب الكفر وخطورة رذيلة النفاق وذكر صفات المنافقين، هو التحذير والتخويف مِن آثار المعاصي والذنوب والكبائر وتشديد ارتباطه وتمسكه بالطريق المستقيم.

الوجهُ الثالث: اختلافُ السياق.

إنّ الآية بلفظٍ واحدٍ قد تأتي في سياقاتٍ متعددةٍ لا في سياقٍ واحد؛ إذ لو كان السياقُ واحداً وتكرر المعنى لقيل بأنّ التكرار مما لا معنى له، ولكن إذا كانت الآية في سياقاتٍ متنوعةٍ، فقد ترد في سياقِ المدح، وقد ترد في سياقِ التنبيه، وقد ترد في سياقِ التذكير، وقد ترد في سياق التوصيف، وكُلّ سياقٍ يُكسِبُ الآية معنى جديداً وإنْ كانتْ ذاتَ لفظٍ واحدٍ.

فإنّ الجملة الواحدة لها معنيان: الأوّل: المعنى الإسنادي، **والثاني**: المعنى السياقي.

فالمعنى الإسنادي هو ما يستفادُ مِن إسنادِ الخبر للمبتدأ، أو المضاف للمضاف إليه، أو الفعل لفاعله أو مفعوله أو مكانه أوزمانه أو علته، وهو مايسمى بالمعنى الإسنادي.

والمعنى السياقي هو ما يكتسبه المعنى الإسنادي مِن السياق، وبسبب تنوع السياقات في القرآن الكريم فقد تكون الآية الواحدة متكررة لأبعادٍ سياقية مختلفة.

---

38 سورة آل عمران، 131.

39 سورة ق، 24.

40 سورة الكهف، 106.

41 سورة البقرة، 204.

42 سورة النساء، 142.

ومنها هذه الآية المباركة وهي قوله تبارك وتعالى: **{أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}**، فإنّ هذه الآية الشريفة قد وردتْ في سياقين:

أحدهما: سياقُ التقوى **{هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ}**[43] بعنصريها الجوانحي كالإيمان بالوحي والمعاد، والجوارحي كالصلاة والإنفاق.

وثانيهما: سياقُ الإحسان **{هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ}**[44].

ومِن الواضح أنّ التقوى والإحسان وإنْ كانا يلتقيان مصداقاً، لكنهما مختلفان مفهوماً؛ فالتقوى هي انبعاثٌ مِن حافزٍ نفسي – وهو تحري الوقاية مِن الوقوع في الهاوية – نحو العملين القلبي والسلوكي، والإحسان هو الإهتمام بجودة العمل وإتقانه.

والسياقُ الأوّل: ما في سورة البقرة في قوله تعالى: **{الم * ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ}**[45]، والمناسب لسياق توصيف المتقين ذكر أهم ميزتين لهم وهما: صفة الهداية وصفة الفلاح، لذلك قال تبارك وتعالى: **{أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}**[46].

والسياقُ الثاني: ما في سورة لقمان في قوله تعالى: **{الم * تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ * هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ}**[47]، والمنسجم مع المحسنين اتصافهم بصفة الهدى والفلاح، لذلك قال تبارك وتعالى: **{الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}**[48].

والحمد لله رب العالمين

---

[43] سورة البقرة، 2.

[44] سورة لقمان، 3.

[45] سورة البقرة 1 – 3.

[46] سورة البقرة، 5.

[47] سورة لقمان، 1 – 3.

[48] سورة لقمان، 4 – 5.